إسرائيل في رأي المسيحية

لنيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم

يونيو ١٩٦٦م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك

الكرازة المرقسية الـ١١٧

طُرس البركة لقداسة البابا تواضروس الثاني

وإن مات فهو يتكلَّم بعد...

غزارة المعرفة وعمقها في حياة المتنيِّح قداسة البابا شنوده الثالث جعلته يترك لنا تُراثًا روحيًا وأدبيًا وكنسيًا ربما لم تشهده أجيالٌ كثيرة قبلاً. وفي نفس الوقت هذا التُراث لم نحصره تمامًا حتى الآن.

ورغم أنه نُشر أكثر من ١٥٠ كتابًا بأحجامٍ متنوِّعة وفي موضوعاتٍ عديدة تغطي مساحات كبيرة من المعارف المسيحية الروحية والكنسية والآبائية، والتي تُرجم معظمها إلى العديد من اللغات، حتى صار اسمه معروفًا عالميًا أنه "مُعلِّم الأجيال".. إلا أنه ما زال يوجد الكثير مما لم ينشر بعد. وننشر لكم بعضًا من ذلك التُراث الخالد والذي لم يُنشر من قبل...

ونقدم لكم كتاب:

إسرائيل في رأي المسيحية

وسوف تجد عزيزي القارئ متعة خاصة وأنت تستمع لصوت قداسته عبر الصفحات وبعد رحيله... يُعلِّمنا ويروينا من فيض معرفته وروحياته وخبراته العميقة.

تقديري ومحبتي لكل من ساهم في إخراج هذه الكتب إلى النور خاصة مركز "مُعلِّم الأجيال لحفظ ونشر تُراث البابا شنوده الثالث" في كنيسة السيدة العذراء مريم بالزيتون بالقاهرة.

نفَّعنا الله ببركة صلواته لأجلنا كنيسةً وشعبًا وضعفي. ونعمته تشملنا جميعًا..

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور

١- وُلِدَ في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، باسم نظير جيد روفائيل. في قرية سَلاَّم بأسيوط.

٢- حصل على ليسانس الآداب - قسم التاريخ -، من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا).

٣- التحق بالقوات المسلحة - مدرسة المشاة - وكان أول الخريجين من الضباط الاحتياط، سنة ١٩٤٧م.

٤- تخرج من الكلية الإكليريكية "القسم المسائي" سنة ١٩٤٩م، وكان الأول على الخريجين - فعُيِّنِ مُدرّسًا فيها.

٥- عمِلَ مُدَرِسًا للغة الإنجليزية والعربية، في إحدى المدارس الأجنبية.

٦- أتقَنَ الشعر منذ ١٩٣٩م، وكتب كثيرًا من القصائد الشعرية.

٧- في سنة ١٩٤٩م: تَكَرَّسَ للخدمة في الكلية الإكليريكية وبيت مدارس الأحد في روض الفرج بشبرا، وتولى رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد.

٨- صار راهبًا في دير العذراء الشهير بالسريان في ١٨ يوليو ١٩٥٤م.

٩- تمت سـيامته بيد البابا كيرلس السـادس، أول أسـقف للتعليم والكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية، باسم الأنبا شنوده في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م.

١٠- بدأ الاجتماعات الروحية التعليمية منذ سنة ١٩٦٢م، واستمر فيها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م.

١١- أصـدر مجلة الكرازة في يناير ١٩٦٥م، واسـتمر في تحريرها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م (واستمرّ قداسة البابا المُعَظَّمْ تواضروس الثاني في إصدارها).

١٢- اختارته السماء بالقرعة الهيكلية وتمَّ تجليسه البابا الـ١١٧ للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م.

١٣- نَمَتْ الكنيسـة القبطية في عهده، داخل مصـر وخارجها؛ في كل قارات العالم: أفريقيا وآسـيا وأوروبا وأسـتراليا والأمريكتين: الشـمالية والجنوبية.

١٤- حصل على تسع شهادات دكتوراه فخرية من كبرى جامعات أمريكا وأوروبا.

١٥- امتدت الكلية الإكليريكية في عهده، وأصبح لها ١٦ فرعًا في مصر وخارجها.

١٦- كتب أكثر من ١٤٠ كتابًا في كثير من المجالات الكتابية والروحية، واللاهوتية والعقائدية وفي الخدمة والرعاية والتربية.

١٧- قامَ بسيامة بطريركان و٥ أساقفة لكنيسة إريتريا و١١٢ أسقفًا وأكثر من ٢٠٠٠ كاهنًا و١٠٠٠ راهبًا.

١٨- قامَ برحلات رعوية ورسمية لكثير من بلدان العالم، وصلت إلى أكثر من ٨٠ رحلة.

١٩- رقد في الرب في ١٧ مارس سنة ٢٠١٢م ، وكانت جنازة قداسته مهيبة وعظيمة، حضرها أكثر من اثنين ونصف مليون شخص، بشهادة الأنبا باخوميوس، مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية والقائم مقام البطريرك. نيحَ الله نفسه في فردوس النعيم، ونَفَعْنا بصلواته.

إسرائيل في رأي المسيحية[1]

مقدمة المجلس الملي العام ودوره في المعركة

موضوع اليوم: "إسرائيل في نظر المسيحية"، إن كلمة إسرائيل لها عدد من الدلالات؛ فهي تدل على شخص يعقوب بن إسحاق الذي سُمي "إسرائيل"، وتدل على شعب إسرائيل القديم السابق للمسيحية. ولها أيضًا معنى رمزي في إشارتها للكنيسة المقدسة. متى بدأت قصة إسرائيل؟ بدأت بعهد من الله مع إبراهيم أبي الآباء، قال له فيه "لك أُعطي هذه الأرض ولنسلك من بعدك" (تك١٣: ١٥)، فماذا كان ذلك الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم وأولاده؟ ومَن هم أولئك اليهود: هل هم شعب الله المختار حقًا؟ هل هم حقًا أبناء لإبراهيم؟ هل هم حقًا دولة لها كيانها؟ هل هم حقًا أصحاب المواعيد الإلهية؟ أم أن الله رفضهم وانتهى أمرهم منذ زمن؟ هذا هو ما سنتحدث عنه.

---

[1] نص المحاضرة التي ألقاها قداسة البابا شنوده في يوم ٢٦ من يونيو عام ١٩٦٦م، وذلك بمقر نقابة الصحفيين بالقاهرة.

أولًا: العهد.

١. العهد له شروط.

٢. لعنات إن نقضوا العهد.

٣. هل حفظوا العهد أم نقضوه؟

- شعب عنيد صلب الرقبة.

- شعب متذمر.

- شعب عابد للأصنام.

- نقض بنو إسرائيل عهد الرب.

٤. عقوبات الرب لهم.

- تسليمهم لأيدي أعدائهم.

- تشتيتهم وإبادتهم وإفناؤهم.

أولًا: العهد

١. كان العهد الذي أُعطى لذلك الشعب له شروط

ففي سفر الخروج (أصحاح ١٩: ٥، ٦) يقول الرب لهم: "إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً..".

وقد وافق جميع الشعب على هذه الشروط، وقالوا لموسى النبي: "كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ" (خر ١٩: ٨). وكتب هذا العهد في كتاب.

"وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ" (خر ٢٤: ٧).

"إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً" (خر ٢٤: ٧). هذا هو شرط الله معهم، وهذا هو عهده. يقول الكتاب المقدس: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكْتُبْ لِنَفْسِكَ هذِهِ الْكَلِمَاتِ، لأَنِّي بِحَسَبِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ" (خر ٣٤: ٢٧).

+ نفس هذا الشرط كرره الرب مرة أخرى في سفر التثنية. فخاطب الشعب قائلًا: "جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ

تَحَيَوْا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَـمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ" (تث٨: ١).

إذا يجب أن يحفظوا جميع الوصـــايا، وينفذوا كل أوامر الله، لكي يدخلوا ويملكوا الأرض.

ثم يعلق الرب على كل هذا مكملًا:

"وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ... كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ" (تث٨: ١٩، ٢٠).

إذًا، إن سـمعتم دخلتم الأرض، وإن لم تسـمعوا تبيدوا مثل ذلك الشـعوب. هذا هو الشرط.

+ نفس هذا الشـــرط، قالـه الرب لـداود النبي والملك. وهكذا ورد في المزمور: "أَقْسَـــمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَـهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ" (مز١٣٢: ١١، ١٢).

+ ونفس الشرط ذكره الرب لسليمان بن داود: "وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَـلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ بِسَـلاَمَةِ قَلْبٍ وَاسْـتِقَامَةٍ... فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِـيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ..." (١مل٩: ٤، ٥).

إذًا هو وعد مشروط. لا بد أن يحفظوا عهد الرب، ويطيعوا وصاياه، وإلا كانوا غير مستحقين للمكافأة التي كافأهم بها.

وما أخطر الكلمات التي قالها الرب لسليمان، في هذا الصدد:

"إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلاَ تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً. كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَتَعَجَّبُ وَيَصْفُرُ، وَيَقُولُونَ: لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هكَذَا لِهذِهِ الأَرْضِ وَلِهذَا الْبَيْتِ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَهُمُ..." (١مل٩: ٦-٩).

إذًا كان عهد الرب بشرط: إن لم يطع إسرائيل عهد الرب، يقطعه الرب عن وجه الأرض، ويجعله مثلًا وهزاه. وحتى البيت المقدس – الذي هو الهيكل – يحطمه الرب، وكل من يراه يتعجب.

يبقى بعد هذا أن نسأل سؤالًا هامًا وهو: هل حفظ إسرائيل العهد حتى يستحق الأرض، أم أنه لم يحفظ عهد الله؟ هذا ما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد. ويكفي أن نذكر هنا أنه حتى سليمان نفسه لم يطع الرب. وفي أواخر أيامه أمالت النساء قلبه فبخر للأصنام. يقول الكتاب أن الرب أقام

له خصـــومًا: "هَدَدَ الأَدُومِيَّ... رَزُونَ بْنَ أَلِيدَاعَ... وَيَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ" (١مل١١: ١٤، ٣٢، ٢٦). ثم تقســـمت مملكته من بعده. والعهد الذي أعطاه الرب لداود لم يتم بسبب كسر الوصية.

٢- قائمة من اللعنات إن كسروا عهد الرب

إن الله قد أعطى عهدًا لشعبه. وفي نفس الوقت نرى في (الأصحاح ٢٨ من ســـفر التثنية)، قائمة كبيرة للبركات واللعنات: البركات إن حفظوا العهد، واللعنات إن خالفوا الوصايا.

إن اللعنات تشمل أشياء كثيرة جدًا. ولكني سأقتصر هنا على ما يتعلق منها بوراثة الأرض.

يقول الوحي في سفر التثنية (ص٢٨): "وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَـــايَاهُ وَفَرَائِضِـــهِ الَّتِي أَنَا أُوصِـــيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ.." (ع١٥).

+ "... يُبِيدَكَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا" (ع٢١).

+ "يَجْعَلُكَ الرَّبُّ مُنْهَزِمًا أَمَامَ أَعْدَائِكَ. فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ عَلَيْهِمْ، وَفِي سَبْعِ طُرُقٍ تَهْرُبُ أَمَامَهُمْ، وَتَكُونُ قَلَقًا فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الأَرْضِ" (ع٢٥).

+ ".. لاَ تَكُونُ إِلاَّ مَظْلُومًا مَغْصُوبًا كُلَّ الأَيَّامِ وَلَيْسَ مُخَلِّصٌ" (ع٢٩).

+ "تَبْنِي بَيْتًا وَلاَ تَسْــكُنُ فِيهِ. تَغْرِسُ كَرْمًا وَلاَ تَسْــتَغِلُّهُ.. تُدْفَعُ غَنَمُكَ إِلَى أَعْدَائِكَ وَلَيْسَ لَكَ مُخَلِّصٌ. يُسَلَّمُ بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ لِشَعْبٍ آخَرَ.. ثَمَرُ أَرْضِكَ وَكُلُّ تَعَبِكَ يَأْكُلُهُ شَــعْبٌ لاَ تَعْرِفُهُ، فَلاَ تَكُونُ إِلاَّ مَظْلُومًا وَمَسْــحُوقًا كُلَّ الأَيَّامِ" (ع٣٠-٣٣).

+ "يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك.." (ع٣٦).

+ "وَتَكُونُ دَهَشًا وَمَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُكَ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ" (ع٣٧).

+ "تُسْتَعْبَدُ لأَعْدَائِكَ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ الرَّبُّ عَلَيْكَ.." (ع٤٨).

+ "يَجْلِبُ الرَّبُّ عَلَيْكَ أُمَّةً مِنْ بَعِيدٍ.. فَتَأْكُلُ ثَمَرَةَ بَهَائِمِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِــــكَ حَتَّى تَهْلِكَ.." (ع٤٩- ٥١).

+ " يَجْعَلُ الرَّبُّ ضَــرَبَاتِكَ وَضَــرَبَاتِ نَسْــلِكَ عَجِيبَةً. ضَــرَبَاتٍ عَظِيمَةً رَاسِخَةً، وَأَمْرَاضًا رَدِيَّةً ثَابِتَةً" (ع٥٩).

+ "وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّــعُوبِ مِنْ أَقْصَــاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَــائِهَا وَفِي تِلْكَ الأُمَمِ لاَ تَطْمَئِنُّ وَلاَ يَكُونُ قَرَارٌ لِقَدَمِكَ، بَلْ يُعْطِيكَ الرَّبُّ هُنَاكَ قَلْبًا مُرْتَجِفًا.." (ع٦٤، ٦٥).

إذا من ضـمن العقوبات: الهزيمة والتشـتت في الأرض.. نعود الآن إلى سؤالنا الخطير:

٣- هل حفظوا عهد الرب، أم لم يحفظوه؟

المعروف عن شـعب إسـرائيل، أنه كان طول تاريخه شـعبًا عنيدًا متذمرًا صـلب الرقبة. وتعب منه موسـى النبي الذي كان أكثر الناس حلمًا على وجه الأرض (عد١٢: ٣). لقد اتسم هذا الشعب بما يلي:

شعب عنيد صلب الرقبة

يشـهد عنه الرب كما يذكر لنا بولس الرسـول: "أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْـرَائِيلَ فَيَقُولُ: طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ" (رو١٠: ٢١).

وفي سفر الخروج، قال عنه موسى للرب إنه: "... شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةُ" (خر٣٤: ٩).

ويتحدث عنه الرب إلى حزقيال النبي فيقول له: "لكِنَّ بَيْتَ إِسْـرَائِيلَ لاَ يَشَـاءُ أَنْ يَسْـمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَشَـاؤُونَ أَنْ يَسْـمَعُوا لِي. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ صِلاَبُ الْجِبَاهِ وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ" (حز٣: ٧).

ويقول عنه في سـفر إشـعياء النبي: "وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّـعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ !" (إش١: ٤).

وقال عنه الرب في سفر إرمياء النبي: "هكَذَا أُفْسِدُ كِبْرِيَاءَ يَهُوذَا، وَكِبْرِيَاءَ أُورُشَلِيمَ الْعَظِيمَةِ. هذَا الشَّعْبُ الشِّرِّيرُ الَّذِي يَأْبَى أَنْ يَسْمَعَ كَلاَمِي، الَّذِي يَسْلُكُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ..." (إر١٣: ٩، ١٠).

وقال عنه أيضًا: "... وَأَبَوْا قُبُولَ التَّأْدِيبِ. صَلَّبُوا وُجُوهَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ الصَّخْرِ... وَصَارَ لِهذَا الشَّعْبِ قَلْبٌ عَاصٍ وَمُتَمَرِّدٌ" (إر٥: ٣، ٢٣).

شعب متذمر

هذا الشعب عاش مع موسى النبي في منتهى التذمر. لقد قرأت كثيرًا في كتب التاريخ، ولكني لا أعرف على الإطلاق شعبًا أكثر تذمرًا من شعب إسرائيل.

إن الضربات الكثيرة التي حطم بها الرب قوة فرعون، لم تمنع تذمر إسرائيل. فما أن وصلوا إلى البحر الأحمر، حتى تذمروا على موسى النبي قائلين: "هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟" (خر١٤: ١١). فقال لهم موسى: "... قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ... الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (خر١٤: ١٣-١٤). وضرب البحر بعصاه فشقه نصفين، وخلص إسرائيل.

فهل عرفوا بعد هذا جميل الرب وأبطلوا التذمر؟ كلا. فبعد الضـــربات العشـر في مصـر، وبعد شـق البحر الأحمر وعبورهم فيه، نراهم أيضًـا متذمرين! لأنهم لهم يجدوا ماءً حلوًا ليشربوه! (خر١٥: ٢٤).

حول لهم موسـى – بمعجزة من الرب – الماء المُرّ إلى ماء عذب. فماذا كانت النتيجة؟ تذمروا أيضًـــا من أجل الطعام! وقالوا لموســـى وهارون: "... لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّـــبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ" (خر١٦: ٣).

فأنزل لهم الرب المَنَّ من السماء، خبزًا سماويًا ليأكلوه. ولكنهم مع ذلك لم يبطلوا التذمر، فإنهم لخجلهم جميعًا، وجدناهم في يوم من الأيام وإذ هم يبكون بدموع غزيرة. لماذا؟ لأنهم يريدون أن يكلوا لحمًا! بكوا، وقالوا: "مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّـــمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْـــرَ مَجَّانًا، وَالْقِثَّاءَ وَالْبَطِّيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ" (عد١١: ٤-٥).

فتضايق موسى النبي جدًا منهم. وهذا الرجل الحليم، الذي كان أكثر حلمًا من جميع الناس، صـــرخ إلى الرب قائلًا: "تَأْكُلُونَ لاَ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلاَ يَوْمَيْنِ، وَلاَ خَمْسَـةَ أَيَّامٍ، وَلاَ عَشَـرَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ عِشْـرِينَ يَوْمًا، بَلْ شَـهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ، وَيَصِـيرَ لَكُمْ كَرَاهَةً..." (عد١١: ١٩-٢٠).

"وَإِذْ كَانَ اللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْنَانِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ، حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، وَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا" (عد١١: ٣٣). فما منهم كثيرون، ودعوا اسم ذلك المكان **"قَبَرُوتَ هَتَّأَوَةَ" أي "قبور الشهوة"**.

فهل أبطلوا التذمر بعد هذا؟ كلا. بل استمروا طوال تاريخهم في التذمر، حتى أنهم أرادوا مرة أن يرجموا موسى وهارون، ويقيموا عليهم رئيسًا آخر وغضب الرب، وقال لموسى: "حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ" (عد١٤: ١١، ١٢). وعاد الرب فصفح عنهم بشفاعة موسى فيهم.

ولكن هل عادوا هم إلى رشدهم، وأبطلوا تذمرهم وشرورهم؟ كلا، فبعد معجزات لا عدد لها، وبعد أن أضاء الرب عليهم ليلًا بعمود النار، وظللهم نهارًا بالسحاب، وبعد أن أنزل لهم المن والسلوى من السماء، بعد هذا غاب موسى على الجبل، عندما أخذ لوحي الشريعة من الله. فماذا فعل هذا الشعب؟ اخرجوا الذهب الذي عندهم، وصنعوا تمثالًا. وسجدوا له، وقدموا له الذبائح وقالوا: "هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (خر ٣٢: ٤).

وقال الرب لموسى: "اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ... فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا" (خر٣٢: ٧، ١٠). فشفع فيهم موسى..

وأريد هنا أن أسأل: أين كان وعد الله، حينما قال: "أنا أفنيهم"؟ لو كان وعد الله غير مشروط، فلماذا كان إذًا يريد أن يفنيهم؟

٣-شعب شرير، عابد للأصنام

وصلَ الأمر بشر هذا الشعب، أنهم وقعوا جميعهم في عبادة الأصنام. ليس فقط عندما عبدوا العجل الذهبي في حياة موسى النبي، وإنما أيضًا بعد وفاة موسى ويشوع. يروي سفر القضاة سلسلة من تواريخ عبادتهم للآلهة الغريبة، وكيف أنهم "عَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَامَ وَآلِهَةَ صِيدُونَ وَآلِهَةَ مُوآبَ وَآلِهَةَ بَنِي عَمُّونَ وَآلِهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ" (قض١٠: ٦). حتى أن الرب قال لهم: "وَأَنْتُمْ قَدْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى. لِذلِكَ لاَ أَعُودُ أُخَلِّصُكُمْ، اِمْضُوا وَاصْرُخُوا إِلَى الآلِهَةِ الَّتِي اخْتَرْتُمُوهَا، لِتُخَلِّصَكُمْ هِيَ فِي زَمَانِ ضِيقِكُمْ" (قض١٠: ١٣، ١٤).

ومنذ أن تكونت مملكة إسرائيل منشقة عن يهوذا، وصارت تعبد الأصنام. خاف يربعام ملك إسرائيل أن يذهب الإسرائيليون إلى أورشليم لكي يسجدوا هناك. فصنع لهم عجلين من ذهب، وقال لهم: ".. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (١مل١٢: ٢٨).

وظلوا يعبدون عجلي يربعام حتى سبوا في القرن الثامن قبل الميلاد.

وصل الأمر بهؤلاء الناس في تركهم الله، أن آخاب ملك إسرائيل كان له ٤٥٠ نبيًا كاذبًا أنبياء للبعل، و٤٠٠ نبيًا كاذبًا للسواري. وكانوا يعبدون الأصنام وآلهة المدن الغريبة، ويسيرون في الفسق والفساد.

هؤلاء الإسرائيليون كانوا بلا شك قد نقضوا العهد الذي بينهم وبين الله. وإنكم لتجدون مُلخصًا مُركزًا لشرورهم في سفر الملوك الثاني (٢مل١٧: ٧-١٨) حيث يقول الوحي الإلهي:

"وَكَانَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِمِ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَاتَّقَوْا آلِهَةً أُخْرَى، وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ.. وَبَنَوْا لأَنْفُسِهِمْ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جَمِيعِ مُدُنِهِمْ.. وَأَقَامُوا لأَنْفُسِهِمْ أَنْصَابًا وَسَوَارِيَ.. وَأَوْقَدُوا هُنَاكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْتَفَعَاتِ.. وَعَمِلُوا أُمُورًا قَبِيحَةً لإِغَاظَةِ الرَّبِّ. وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ.. فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ صَلَّبُوا أَقْفِيَتَهُمْ كَأَقْفِيَةِ آبَائِهِمِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا بَاطِلاً.. وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَعَمِلُوا لأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجْلَيْنِ، وَعَمِلُوا سَوَارِيَ، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ، وَعَبَدُوا الْبَعْلَ. وَعَبَّرُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي النَّارِ، وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا، وَبَاعُوا

أَنْفُسَــهُمْ لِعَمَلِ الشَّــرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ. فَغَضِــبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ".

فماذا إذًا عن مملكة يهوذا هذه، بعد أن عبدت أختها إسـرائيل الأصـنام، وسارت في الفساد؟

يقول الكتاب: "وَيَهُوذَا أَيْضًـا لَمْ يَحْفَظُوا وَصَـايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ، بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمِلُوهَا" (٢مل١٧: ١٩).

كم كان أبشـــع حالة مملكة يهوذا التي وبخها الله بقوله: "لأَنَّهُ عَلَى عَدَدِ مُدُنِكَ صَـــارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا... كُلُّكُمْ عَصَـــيْتُمُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ" (إر٢: ٢٨، ٢٩).

بل بلغ الأمر أن الله قال مرة على لسان إرمياء النبي: "طُوفُوا فِي شَـوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا، وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا، هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَانًا (واحدًا)، أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ، فَأَصْـــفَحَ عَنْهَا؟ (إر٥: ١). كان مسـتعدًا أن يصـفح عن أورشـليم إن وجد فيها شـخصًـا واحدًا يعرف الله ويسـير في طريق الحق. ولم يجد هذا الواحد. لذلك صـدق الكتاب عندما قال: "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَـدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَـلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ.. الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رو٣: ١٢، ٢٣)، (مز٥٣: ١و ٣).

نقض بني إسرائيل عهد الرب

لقد نقض بنو إسرائيل عهد الرب الذي أبرمه الرب معهم. كان من شروط العهد أن يعبدوه ولا يسيروا وراء آلهة أخرى، ولكنهم تركوا الرب وعبدوا آلهة غريبة وسجدوا لأصنامها. وكان من شروط العهد أن يحفظوا وصاياه، ولكنهم خالفوها وساروا وراء شهوات قلوبهم. لذلك استحقوا غضب الله عليهم، واستحقوا لعنات الشريعة التي أنذرهم بها الرب من قبل.

قال الرب عنهم لإرمياء النبي: "فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ سَلَكُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ. فَجَلَبْتُ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلاَمِ هذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَصْنَعُوهُ وَلَمْ يَصْنَعُوهُ" (إر ١١: ٨).

واستطرد متحدثًا عن نقضهم عهده، ونتيجة هذا النقض "قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُوذَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُخُونَ إِلَيَّ فَلاَ أَسْمَعُ لَهُمْ" (إر ١١: ١٠، ١١).

وكان من مظاهر هذا الشر الذي يجلبه عليهم خراب مدينتهم عندما قال الرب: "وَيَعْبُرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ، وَيَقُولُونَ الْوَاحِدُ لِصَاحِبِهِ: لِمَاذَا فَعَلَ الرَّبُّ مِثْلَ هذَا لِهذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَسَجَدُوا لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدُوهَا" (إر ٢٢: ٨، ٩).

وقد صـــاح إيليا النبي، مُعلنًا هو أيضًـــا نقض بني إسـرائيل عهد الرب، فقال له: "لأَنَّ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُـــوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ..." (١مل١٩: ١٠).

وكان نقض العهد معناه اللعنة، وعدم الاسـتحقاق لأن يكونوا شـعب الله. لذلك يقول لهم الرب: "مَلْعُونٌ الإِنْسَـــانُ الَّذِي لاَ يَسْـــمَعُ كَلاَمَ هذَا الْعَهْدِ، الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ آبَاءَكُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْـــرَ، مِنْ كُورِ الْحَدِيدِ قَائِلاً: اسْـــمَعُوا صَـــوْتِي وَاعْمَلُوا بِهِ حَسَـــبَ كُلِّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ، فَتَكُونُوا لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا" (إر ١١: ٣، ٤).

٤- عقوبات الرب لهم

أنذرهم الأنبياء بالنتيجة المحتومة لنقضـــهم العهد. فقال إرمياء النبي: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ... وَتَصِـيرُ جُثَثُ هذَا الشَّـعْبِ أَكْلاً لِطُيُورِ السَّـمَاءِ وَلِوُحُوشِ الأَرْضِ، وَلاَ مُزْعِجَ. وَأُبَطِّلُ مِنْ مُدُنِ يَهُوذَا وَمِنْ شَـوَارِعِ أُورُشَـلِيمَ صَـوْتَ الطَّرَبِ وَصَـوْتَ الْفَرَحِ، صَـوْتَ الْعَرِيسِ وَصَـوْتَ الْعَرُوسِ، لأَنَّ الأَرْضَ تَصِيرُ خَرَابًا" (إر٧: ٣٢-٣٤).

"وَيُخْتَارُ الْمَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ عِنْدَ كُلِّ الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ هذِهِ الْعَشِيرَةِ الشِّرِّيرَةِ الْبَاقِيَةِ فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ" (إر٨: ٣).

وما أبشع الصورة التي سجلها إرمياء النبي لغضب الرب عليهم إذ يقول: "ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِي: «وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمُوئِيلُ أَمَامِي لاَ تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هذَا الشَّعْبِ. اِطْرَحْهُمْ مِنْ أَمَامِي فَيَخْرُجُوا. وَيَكُونُ إِذَا قَالُوا لَكَ: إِلَى أَيْنَ نَخْرُجُ؟ أَنَّكَ تَقُولُ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: الَّذِينَ لِلْمَوْتِ فَإِلَى الْمَوْتِ، وَالَّذِينَ لِلسَّيْفِ فَإِلَى السَّيْفِ، وَالَّذِينَ لِلْجُوعِ فَإِلَى الْجُوعِ، وَالَّذِينَ لِلسَّبْيِ فَإِلَى السَّبْيِ. وَأُوَكِّلُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ، يَقُولُ الرَّبُّ: السَّيْفَ لِلْقَتْلِ، وَالْكِلاَبَ لِلسَّحْبِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ لِلأَكْلِ وَالإِهْلاَكِ. وَأَدْفَعُهُمْ لِلْقَلَقِ فِي كُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ.." (إر ١٥: ١-٤).

"هأَنَذَا جَالِبٌ عَلَى هذَا الْمَوْضِعِ شَرًّا، كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهِ تَطِنُّ أُذْنَاهُ" (إر ١٩: ٣).

تسليمهم لأيدي أعدائهم

إن تسليم هذا الشعب لأيدي أعدائه كلما أخطأ، عقوبة قديمة كثيرًا ما عاقبهم الرب بها. وتظهر واضحة في سفر القضاة.

فلما تركوا الرب بعد موت موسى ويشوع، يقول الكتاب: "فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. حَيْثُمَا خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ..." (قض٢: ١٤، ١٥). وقال الرب: "مِنْ أَجْلِ أَنَّ هذَا

الشَّعْبَ قَدْ تَعَدَّوْا عَهْدِيَ الَّذِي أَوْصَيْتُ بِهِ آبَاءَهُمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِي، فَأَنَا أَيْضًا لاَ أَعُودُ أَطْرُدُ إِنْسَانًا مِنْ أَمَامِهِمْ مِنَ الأُمَمِ" (قض٢: ٢٠، ٢١).

ويضرب لنا سفر القضاة أمثلة تفصيلية عن هذا الأمر، فيقول: "فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلهَهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسَّوَارِيَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشَعْتَايِمَ مَلِكِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ..." (قض٣: ٧، ٨). "وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَبِيَدِ بَنِي عَمُّونَ، فَحَطَّمُوا وَرَضَّضُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ.." (قض١٠: ٦-٨).

وتؤيد المزامير هذا المبدأ ذاته فتقول عن بني إسرائيل: ".. بَلِ اخْتَلَطُوا بِالأُمَمِ وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ.. وَأَسْلَمَهُمْ لِيَدِ الأُمَمِ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُبْغِضُوهُمْ" (مز١٠٦: ٣٥، ٤١).

ولما أخطأ "سليمان" الملك، أقام عليه الرب خصومًا ضايقوه. وآحاز ملك يهوذا الشرير "فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلهُهُ لِيَدِ مَلِكِ أَرَامَ، فَضَرَبُوهُ وَسَبَوْا مِنْهُ سَبْيًا عَظِيمًا" (٢أي٢٨: ٥).

والأمثلة كثيرة عن دفع هذا الشعب لأيدي أعدائه لا تقع تحت حصر. يكفي منها أنه أسلمهم للسبي، فسبيت مملكة إسرائيل ثم سبيت مملكة

يهوذا. وعاشـــوا في الســـبي زمانًا. "قَالَ الرَّبُّ: أَدْفَعُ صِـــدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَعَبِيدَهُ وَالشَّـــعْبَ.. لِيَدِ نَبُوخَذْرَاصَّـــرَ مَلِكِ بَابِلَ وَلِيَدِ أَعْدَائِهِمْ وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِـــهِمْ، فَيَضْـــرِبُهُمْ بِحَدِّ السَّـــيْفِ. لاَ يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَشْـــفُقُ وَلاَ يَرْحَمُ" (إر ٢١: ٧).

وقال عن أورشـــليم: "قَدْ جَعَلْتُ وَجْهِي عَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ لِلشَّـــرِّ لاَ لِلْخَيْرِ، يَقُولُ الرَّبُّ. لِيَدِ مَلِكِ بَابِلَ تُدْفَعُ فَيُحْرِقُهَا بِالنَّارِ" (إر ٢١: ١٠).

أين كان عهد الرب وهم في السبي؟ أين كانت وعوده لهم وقوله: "لِنَسْـلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ" (تك١٢: ٧)، بينما قد غربهم عن أرضـــهم وســـلمها لأعدائهم. واضـــح جدًا أن الله وقد نقض بنو إســـرائيل عهده أصـــبح غير مكلف من ناحيته بذلك العهد.

بل أن سبيهم وتسليمهم لأعدائهم يتفق مع عهد الرب. لأنه سبق وأنذرهم قائلًا "إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي.. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها" (١مل٩: ٦، ٧).

تشتيتهم وإبادتهم، وإفناؤهم

منذ أيام موســى أنذرهم الرب بهذا التشتيت إن كانوا لا يسمعون له فقال: "..وَأُذَرِّيكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَأُجَرِّدُ وَرَاءَكُمُ السَّـــيْفَ فَتَصِـــيرُ أَرْضُـــكُمْ مُوحَشَـــةً، وَمُدُنُكُمْ تَصِيرُ خَرِبَةً" (لا٢٦: ٣٣).

وكرر هذا على فم إرمياء النبي، فقال: "وَأُذْرِيهِمْ بِمِذْرَاةٍ فِي أَبْوَابِ الأَرْضِ. أُثْكِلُ وَأُبِيدُ شَعْبِي..." (إر١٥: ٧). "لِتُجْعَلْ أَرْضُهُمْ خَرَابًا وَصَفِيرًا أَبَدِيًّا. كُلُّ مَارّ فِيهَا يَدْهَشُ وَيَنْغِضُ رَأْسَهُ.. كَرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ أُبَدِّدُهُمْ أَمَامَ الْعَدُوِّ" (إر١٨: ١٦، ١٧).

وقال أيضًا: "...هأَنَذَا أُطْعِمُ هذَا الشَّعْبَ أَفْسَنْتِينًا وَأَسْقِيهِمْ مَاءَ الْعَلْقَمِ. وَأُبَدِّدُهُمْ فِي أُمَمٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا هُمْ وَلاَ آبَاؤُهُمْ. وَأُطْلِقُ وَرَاءَهُمُ السَّيْفَ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ..." (إر٩: ١٥، ١٦). "فَأُبَدِّدُهُمْ كَقَشٍّ يَعْبُرُ مَعَ رِيحِ الْبَرِّيَّةِ" (إر١٣: ٢٤).

وتنبأ عنهم صفنيا النبي فقال: "نَزْعًا أَنْزَعُ الْكُلَّ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ.. وَأَمُدُّ يَدِي عَلَى يَهُوذَا وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ" (صف١: ٢، ٤). "..لاَ فِضَّتُهُمْ وَلاَ ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ، بَلْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا" (صف١: ١٨).

وقال عنهم هوشع النبي: "فَيَكُونُونَ تَائِهِينَ بَيْنَ الأُمَمِ" (هو٩: ١٧).

وقال عنهم الوحي الإلهي على فم عاموس النبي (٩: ٨-١٠) "هُوَذَا عَيْنَا السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَى الْمَمْلَكَةِ الْخَاطِئَةِ، وَأُبِيدُهَا عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. غَيْرَ أَنِّي لاَ أُبِيدُ بَيْتَ يَعْقُوبَ تَمَامًا، يَقُولُ الرَّبُّ... لأَنَّهُ هأَنَذَا آمُرُ فَأُغَرْبِلُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ جَمِيعِ الأُمَمِ كَمَا يُغَرْبَلُ فِي الْغُرْبَالِ".

وما أصعب قول الرب عنهم فم إرمياء النبي (١٩: ١١) "هكَذَا أَكْسِرُ هذَا الشَّعْبَ وَهذِهِ الْمَدِينَةَ كَمَا يُكْسَرُ وِعَاءُ الْفَخَّارِيِّ بِحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ جَبْرُهُ بَعْدُ". أترى بعد هذه الآية يوجد لهم رجاء؟!

نختم هذا الفصل بقول السيد المسيح عنهم: "وَيَقَعُونَ بِفَمِ السَّيْفِ، وَيُسْبَوْنَ إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الأُمَمِ، حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ" (لو٢١: ٢٤).

ثانيًا: شعب الله

١- ما الحكمة في اختيار شعب معين؟

٢- هل هم أولاد إبراهيم؟

٣- هل هم يهود أو إسرائيليون حقيقيون؟

٤- من هو شعب الله المختار؟

٥- الله يرفض إسرائيل.

٦- الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم.

ثانيًا: شعب الله

بعد كل الشر الذي فعله بنو إسرائيل، وبعد أن سلط الله عليهم الأعداء، وحكم عليهم بالتشـــتيت والإفناء، هل بعد ذلك كله يمكن أن يقال عنهم إنهم شعب الله؟!

ما معنى شعب الله المختار؟

وهل حقًا أن بني إســـرائيل هم شـــعب الله المختار؟ نريد أن نبحث هذا الموضوع..

١- ما الحكمة في اختيار شعب معين؟

إن الله هو إله الجميع، إنه للكل، والكل له. هو رب جميع الشـــعوب. فلماذا يكون له شعب معين خاص به؟ ما الحكمة التي أدت إلى هذا في ذلك الحين؟ وهل ما تزال الأسباب باقية أم أنها انتهت وانتفت منذ زمان؟

أنتم تعلمون جميعًا أن العالم كان قد وقع في الشـــر وازداد الشـــر في الأرض جدًا، حتى أغرق الله العالم بالطوفان.

العالم كله كان قد وقع في عبادة الأوثان. لم يكن يعرف الرب أحد. فاختار الرب مجموعة من الناس، أقربها إلى معرفته وقتذاك. وعزل تلك المجموعة عن الآخرين. عزلها لكي تحفظ الإيمان والعقيدة والشـــريعة

والنبوءات والرموز. وتنقل هذا كله إلى الجيل الذي يستلمها منها، أي إلى المسيحية. لذلك، عندما أخذ هذا الشعب، وعزله عن الناس، قال له في سفر الخروج: "اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ، بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ" (خر ٣٤: ١٢، ١٣). وأضاف في سفر التثنية: "وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ" (تث٧: ٥). "وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ" (تث٧: ٣). ووضح السبب في ذلك بقوله: "لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا" (تث٧: ٤).

ولكن هذا الشعب الذي اؤتمن على الإيمان ليحفظه بعيدًا عن عبادة الأصنام، وقع هو أيضًا في عبادة الأصنام. واختلط بالأمم الغريبة وعبد آلهتها، وبذلك انتفت الحكمة من وجوده. وإذ سلم للمسيحية ما في عهدته من شريعة ونبوءات ورموز، لم يعد هناك من داع مطلقًا لبقائه كشعب مختار.

ملاحظة أخرى: وهي أن هذا الشعب اختير شعبًا لله، على شرط أن ينفذ وصاياه، لأنه بذلك يصير نورًا وسط الشعوب الوثنية. أما إن لم ينفذ الوصايا الإلهية، وصار مثل باقي الشعوب في فسادها وشهواتها، حينئذ تنتفي الحكمة من اختياره.

ويظهر هذا الشـرط واضـحًا من قول الرب: ".. بَلْ إِنَّمَا أَوْصَـيْتُهُمْ بِهذَا الأَمْرِ قَائِلاً: اسْـمَعُوا صَـوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ إِلهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَـعْبًا... فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذْنَهُمْ، بَلْ سَارُوا فِي مَشُورَاتِ وَعِنَادِ قَلْبِهِمِ الشِّرِّيرِ.. فَلَمْ يَسْـمَعُوا لِي وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ صَـلَّبُوا رِقَابَهُمْ. أَسَـاءُوا أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ" (إر ٧: ٢٣-٢٦).

ترون إذًا أنهم لم ينفذوا الشرط الذي به يصيرون شعبًا لله. لذلك خاطبهم الله على فم هوشـع النبي قائلًا: "...لأَنَّكُمْ لَسْـتُمْ شَـعْبِي وَأَنَا لاَ أَكُونُ لَكُمْ" (هو ١: ٩).

٢- هل هم أولاد إبراهيم؟

إن اليهود كانوا منذ القديم شـعبًا تنفخه الكبرياء العنصـرية. وكان من أسـباب كبريائهم أنهم أولاد إبراهيم.. يفخرون بهذا حتى وهم في أعماق الخطيئة والفسـاد، كما لو كانت هذه البنوة وحدها كافية لخلاص أنفسـهم في اليوم الأخير!

فماذا قالت المسيحية عن بنوة اليهود لإبراهيم؟

بدأ يوحنا المعمدان فقال لليهود: "يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَـبِ الآتِي؟ فَاصْـنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ولاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِـكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ

الْحِجَـارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ" (لو٣: ٨، ٩). هنـا أراهم يوحنـا المعمـدان أن بنوتهم لإبراهيم بالجسد لا تفيدهم شيئًا، ما لم يتوبوا ويصـنعوا أثمارًا تليق بالتوبة، وإلا فإن الغضب الآتي يلحقهم.

والبنوة لإبراهيم كانت موضـوع نقاش بينهم وبين السـيد المسـيح كما يروي يوحنا الرسـول في إنجيله: "أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُـــوعُ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي... أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَـهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا" (يو٨: ٣٩-٤٤).

هنا ينفي السـيد المسـيح أنهم أبناء إبراهيم ما داموا لا يعملون أعمال إبراهيم، إذًا فهم ليسـوا أولاد إبراهيم. وما داموا يعملون أعمال إبليس "ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يو٨: ٤٤). إذًا فهم أبناء إبليس. وهنا تضـع لنا المسـيحية مبدأً هامًا وهو أنه ليس كل المولودين من إبراهيم بالجسـد، هم أبناء لإبراهيم.

هذا الأمر يوضحه لنا بولس الرسول في كلمات صريحة، في رسالته إلى أهل رومية قائلًا: "لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْـرَائِيلَ هُمْ إِسْـرَائِيلِيُّونَ، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ (إبراهيم)" (رو٩: ٦، ٧).

ما معني هذا الكلام؟

معناه أن المسيحية ترى أن هناك نوعين من البنوة لإبراهيم: بنوة جسدية، وبنوة روحية. أما البنوة الجسدية فلا تفيد شيئًا، لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم.. ونحن قوم لا نحيا حسب الجسد وإنما حسب الروح.

أما البنوة الروحية فهي بنوة الإيمان "الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ" (غلا٣: ٩). وهكذا يقول بولس الرسول في صراحة ووضوح: "اعْلَمُوا إِذًا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ" (غلا٣: ٧).

وبهذا يدخل الأمم Gentiles أيضًا في البنوة لإبراهيم "لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رو٤: ١٦).

إذًا في الإيمان، الكل أبناء لإبراهيم، لا فرق بين يهودي وأممي، ولا بين عبراني ويوناني. بل كما قال بولس الرسول: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ" (غلا٣: ٢٨، ٢٩).

إذًا في إبراهيم يجتمع كل المؤمنين أيًا كان أصـــلهم، ويصـــدق وعد الله الذي أعطاه لإبراهيم منذ البدء، حين قال له: "فَلاَ يُدْعَى اسْـمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْـــمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ" (تك١٧: ٥).

"لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ" وليس لأمـة واحدة. فنفس كلمـة إبراهيم معنـاها أبو جمهور.

٣- هل هم يهود أو إسرائيليون حقيقيون؟

قلنا إنهم ليســوا أولاد "إبراهيم" لســببين أســاســيين: لأنه ليس لهم أعمال إبراهيم، ولأنهم ليسوا من الإيمان إذ أنهم لم يؤمنوا بالمسيح بل رفضوه.

هم أيضًـا ليسـوا إسرائيليين. حقًا أنهم "إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ" (١كو١٠: ١٨) كما ســماهم بولس الرســول. ولكنهم ليســوا هكذا بالمعنى الروحي للكلمة. فكما يقول الرسول " لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ" (رو٩: ٦). "أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً" (رو٩: ٨).

فهل هم يهود؟ ليســوا كذلك بالمعني الروحي للكلمة، بل إن ســفر الرؤيا يطلق عليهم اسمًا مرعبًا لهم ينفيهم من ملكوت الله.

ففي رسالة الرب إلى ملاك كنيسة سميرنا، أي إلى راعيها، يقول له: "أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالَكَ وَضِيقَتَكَ وَفَقْرَكَ مَعَ أَنَّكَ غَنِيٌّ. وَتَجْدِيفَ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ هُمْ مَجْمَعُ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ٩).

ويكرر نفس هذا اللقب في رسالته إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا، فيقول له: "هنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ - هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ" (رؤ٣: ٩).

٤- من هو شعب الله المختار؟

في المسيحية، شعب الله المختار هو جميع المؤمنين به، ليس لله شعب معين. بل "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو١: ١٢).

فالسيد المسيح يتكلم عن مجيئه الثاني فيقول في إنجيل متى إنه " فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوق عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا" (مت٢٤: ٣١). يقصد بهذا أن مختاريه من كل أمم الأرض، من كل جهة فيها.

يقول لأهل تســـالونيكي: " وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْـــكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَـا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَـارَكُمْ مِنَ الْبَـدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ" (٢تس٢: ١٣).

ويقول لأهل كولوسـي: "فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِـينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَـاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ" (كو٣: ١٣).

ويقول لأهل أفسـس: "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِـيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِـينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف١: ٤).

ومـا أروع قولـه لأهل رومية: "مَـا يَطْلُبُـهُ إِسْـــرَائِيلُ ذلِكَ لَمْ يَنَلْـهُ. وَلكِنِ الْمُخْتَارُونَ نَالُوهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَتَقَسَّوْا" (رو١١: ٧). وهنا يجعل المختارين غير إسرائيل، كان إسرائيل ليس من المختارين على الإطلاق.

وبطرس الرسول يقول في رسالته الأولى (١بط٥: ١٣) "تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ، وَمَرْقُسُ ابْنِي".

٥- الله يرفض إسرائيل

إن كانت قد مرت فترة من الفترات على اليهود دعوا فيها شـعب الله، فهل عاد الله ورفضـهم لأجل شـرورهم ولأجل نفضـهم عهده وكسـرهم وصـاياه؟ وهل يوجد في الكتاب المقدس دليل على ذلك.

نعم أن الله رفضهم بآيات صريحة في الكتاب المقدس من العهدين القديم والجديد.

في سفر إرمياء النبي (٦: ٢٨-٣٠) يقول عنهم: " كُلُّهُمْ عُصَاةٌ مُتَمَرِّدُونَ... كُلُّهُمْ مُفْسِدُونَ.. الرَّبَّ قَدْ رَفَضَهُمْ". ويقول أيضًا: "الرَّبَّ قَدْ رَفَضَ وَرَذَلَ جِيلَ رِجْزِهِ. لأَنَّ بَنِي يَهُوذَا قَدْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إر٧: ٢٩، ٣٠). ويقول الله للنبي: "لأَنِّي نَزَعْتُ سَلاَمِي مِنْ هذَا الشَّعْبِ، يَقُولُ الرَّبُّ، الإِحْسَانَ وَالْمَرَاحِمَ" (إر١٦: ٥).

كما يقول له أيضًا: "وَإِذَا سَأَلَكَ هذَا الشَّعْبُ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ كَاهِنٌ: مَا وَحْيُ الرَّبِّ؟ فَقُلْ لَهُمْ: أَيُّ وَحْيٍ؟ إِنِّي أَرْفُضُكُمْ، هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ" (إر٢٣: ٣٣). كما يقول الرب أيضًا: "لِذلِكَ هأَنَذَا أَنْسَاكُمْ نِسْيَانًا، وَأَرْفُضُكُمْ مِنْ أَمَامِ وَجْهِي، أَنْتُمْ وَالْمَدِينَةَ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ وَآبَاءَكُمْ إِيَّاهَا. وَأَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عَارًا أَبَدِيًّا وَخِزْيًا أَبَدِيًّا لاَ يُنْسَى" (إر٢٣: ٣٩، ٤٠).

وفي سفر هوشع النبي يقول لهم الله: "لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي وَأَنَا لاَ أَكُونُ لَكُمْ" (هو١: ٩). كما يقول عنهم النبي: "أَصْلُهُمْ قَدْ جَفَّ. لاَ يَصْنَعُونَ ثَمَرًا... يَرْفُضُهُمْ إِلهِي لأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لَهُ، فَيَكُونُونَ تَائِهِينَ بَيْنَ الأُمَمِ" (هو٩: ١٦، ١٧). ويقول عنهم أيضًا "يَذْهَبُونَ... لِيَطْلُبُوا الرَّبَّ وَلاَ يَجِدُونَهُ. قَدْ تَنَحَّى عَنْهُمْ" (هو٥: ٦).

وفي سفر عاموس النبي يقول الرب: "قَدْ أَتَتِ النِّهَايَةُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. لاَ أَعُودُ أَصْفَحُ لَهُ بَعْدُ. فَتَصِيرُ أَغَانِي الْقَصْرِ وَلاَوِلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ" (عا٨: ٢، ٣).

وبولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين (٨: ١٠) يقتبس قول الوحي على لسان إرمياء النبي: "نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إر ٣١: ٣٢).

ليس عجيبًا يا إخوتي أن يسير أناس مع الله حينًا ثم يرفضهم، أو أن يعين الله أشخاصًا، ثم من أجل خطاياهم يعود فيرفضهم:

أنتم تعلمون أن شاول الملك قد عينه الرب، وأرسل صموئيل النبي فمسحه ملكًا. ثم ماذا يقول الكتاب عنه.

يقول إن الرب قد رفض شاول، وأن روح الرب قد فارقه، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ (١صم١٦: ١، ١٤). تعلمون أيضًا يربعام بن نباط عينه الرب ملكًا، وتنبًا له أخيا الشيلوني بهذا من جهة الرب. ثم عاد الرب فرفض يربعام، وأفنى كل بيته، ولم يبق فيه أحد. نفس الأمر بالنسبة إلى ياهو الملك، مسحه أحد الأنبياء حسب أمر الرب. وسار حسنًا في البدء، ولم يكمل كما ينبغي ورفضه الرب هو وكل بيته.

السيد المسيح نفسه أعلن رفضه لهذا الشعب، في مثل الكرامين الأردياء الذي شرحه لهم قائلًا: "إن إنسانًا كان له كرم سلمه لكرامين، أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ، فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلُهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ!" وهنا سأل السيد المسيح اليهود: "فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟ قَالُوا لَهُ: أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ.. لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ" (مت٢١: ٣٣- ٤٣).

يظهر رفضهم أيضًا من بكاء السيد المسيح على أورشليم، إذ قال لها: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!" (لو١٣: ٣٤، ٣٥).

ويقول بولس الرسول عن اليهود في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي: "إن اليهود قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ للهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ.. يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا، حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى

النِّهَايَةِ" (١تس٢: ١٥، ١٦). وقد شبههم الرسول بأغصان قد قُطعت من الزيتونة لعدم إيمانهم (رو١١: ١٩، ٢٠).

٦- الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم

وقد بلغ غضب الله في رفضه لهذا الشعب أنه رفض شفاعة الأنبياء فيهم.. فقال لإرمياء النبي: "وَأَنْتَ فَلاَ تُصَلِّ لأَجْلِ هذَا الشَّعْبِ وَلاَ تَرْفَعْ لأَجْلِهِمْ دُعَاءً وَلاَ صَلاَةً، وَلاَ تُلِحَّ عَلَيَّ لأَنِّي لاَ أَسْمَعُك" (إر٧: ١٦). "وَقَالَ الرَّبُّ لِي: لاَ تُصَلِّ لأَجْلِ هذَا الشَّعْبِ لِلْخَيْرِ" (إر١٤: ١١).

وقال الله أيضًا: "وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمُوئِيلُ أَمَامِي لاَ تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هذَا الشَّعْبِ" (إر١٥: ١).

ثالثًا: قصة الله مع الأمم – قبوله غير اليهود

١– حوادث ورموز منذ أيام إبراهيم.

٢– هل كان بنو إسرائيل يعرفون كل هذه الدلالات؟

٣– السيد المسيح يوضح ويشرح أفضلية الأمم.

٤– آيات صريحة من العهد القديم.

٥– آيات صريحة من العهد الجديد.

٦– السيد المسيح يحطم كبرياء إسرائيل.

ثالثًا: قصة الله مع الأمم – قبوله غير اليهود

١ – حوادث ورموز منذ أيام إبراهيم:

لقد رفض الله بني إسرائيل إذًا، ورفض شفاعة الأنبياء فيهم، وسلمهم لأيدي أعدائهم، وسلمهم للسبي وبددهم بين الشعوب.

وهنا يفتح المجال لمجموعة أخرى هي الأمم.. والمقصود بالأمم (غير اليهود)، لأن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وكل ما عداهم يدعون أممًا. وفي رسائل بولس كلمة (اليونانيين) معناها الأمم أيضًا.

ومجال بحثنا في هذا الفصل هو تتبع علاقة الله بالأمم وقبوله لهم، وكيف أنه كان هناك مكان لغير اسرائيل منذ بداءة العهد القديم! ما أجمل قول المزمور: "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا" (مز ٢٤: ١). وما أجمل قول الوحي الإلهي: "كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" (أع٢: ٢١).. فلنتبع إذًا قصة الله مع الأمم..

في نفس الوقت الذي دعا الله فيه إبراهيم أبا الآباء كان هناك ملكي صادق، ملك ساليم كاهن الله العلي، الذي بارك إبراهيم، ودفع له إبراهيم

العشور، وكان أعظم من إبراهيم (عب٧: ١– ٧).. وكان رمزًا للمسيح له المجد.

وفي عهد موسى نفسه صاحب الشريعة، نرى أن موسى تزوج امرأة كوشية (عد١٢). وكانت تلك المرأة الكوشية رمزًا لدخول الأمم في الإيمان، لأنها لم تكن من إسرائيل. ولما تقول هارون ومريم على موسى، دافع عنه الرب في زواجه بالمرأة الكوشية.

وفي دخول أرض الموعد، انضمت راحاب الخاطئة التي من أهل أريحا، إلى الإيمان هي وبيتها. كانت رمزًا لدخول الأمم في جماعة الرب.

ثم نرى أيضًا أن راعوث الموآبية، التي صارت جدة لداود النبي، دخلت هي أيضًا في الإيمان وفي جماعة الرب. وقالت لحماتها: "شَعْبُكِ شَعْبِي وَإِلهُكِ إِلهِي" (را١: ١٦).

والعجيب أن هاتين المرأتين راحاب الأممية غير اليهودية، وراعوث الأممية غير اليهودية، صارتا جدتين ليسوع المسيح له المجد، وذُكرتا في سلسلة الأنساب. فكان المسيح قد أتي من نسل اشترك فيه الأمم أيضًا مع إسرائيل، ولم يكن إسرائيل فيه هو الشعب المختار المنفرد بهذا الأمر.

وســليمان الحكيم أتته ملكة ســبأ أو ملكة التيمن من أقاصـــي الأرض. وكانت امرأة أممية هي الأخرى. ودخلت في الإيمان مؤمنة بإله سـليمان، وكانت رمزًا لدخول الأمم.

ونرى في سفر نشيد الأنشاد أن المحبوبة تقول فيه: "أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَـــلِيمَ" (نش١: ٥). ولقد كانت هذه المحبوبة ترمز في ســـفر النشـيد إلى كنيسـة الأمم. وتقول عن نفسـها (أنا سـوداء)، أي أنا أممية غريبة لا أصـــل لي في جماعة الرب ولا شـــريعته. بالنســـبة إليكم أعتبر ســـوداء ولكنني جميلة لأن الرب أحبني، ورأى فيَّ من الجمال ما لم يره في اليهود، في بنات أورشليم.

أرملة صرفة صيدا أيضًا التي جاء إليها إيليا النبي أثناء المجاعة، وبارك بيتها، وأقام ابنها من الموت، كانت هي كذلك رمزًا لقبول الأمم.

لعل ما يشـبه هذا أيضًـا نعمان السـرياني، (رئيس جيش ملك أرام) (٢مل ٥: ١، ١٥)، الذي آمن بالرب بعد أن شـفاه أليشـــع النبي من برصـــه، وصـــار هو أيضًـــا من جماعة الرب. إن في قصـــة نعمان الســـرياني ملاحظة دقيقة لا تخفى عليكم، وهي ما في المقارنة بينه وبين جيحزي تلميذ أليشـــع النبي، من معان ورموز رائعة. رفض أليشـــع النبي أن يأخذ مالًا من نعمان الســـرياني. فجرى وراءه جيحزي في الخفاء، وأخذ منه ما أخذه كذبًا باســم النبي، فلعنه النبي فحل به البرص الذي كان في جســم

نعمان. وهنا نرى صورة عجيبة: رجلًا أمميًا غريبًا يشفي جسدًا وروحًا، ويدخل في الإيمان ورجلًا آخر يهوديًا وتلميذًا لنبي تصيبه اللعنة والبرص، ويبعد عن إيمانه. ولعل ذلك رمز للمستقبل الذي كان ينتظر اليهود والأمم.

وبدخول نعمان السرياني في الإيمان، بدأ الإيمان يزحف قليلًا إلى أَرام. ونجد سفر الملوك الثاني (٢مل٨: ٧-١٣) يحكي لنا عن قصة بنهدد ملك أَرام، الذي مرض مرضًا لم يعرف إن كان سيموت به أم يشفي. فأرسل ابنه حزائيل إلى أليشع النبي وقال له: "وَاذْهَبْ لاسْتِقْبَالِ رَجُلِ اللهِ، وَاسْأَلِ الرَّبَّ بِهِ قَائِلاً: هَلْ أَشْفَى مِنْ مَرَضِي هذَا؟" (٢مل٨: ٨). أرام بلد أممي، وبنهدد ملك أممي، يرسل ابنه إلى أليشع النبي مؤمنًا أنه رجل الله، يريد أن يسأل الرب به.. فذهب حزائيل إلى أليشع قال له: "إِنَّ ابْنَكَ بَنْهَدَدَ مَلِكَ أَرَامَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ" (٢مل٨: ٩)، معتبرًا ملك أَرام ابنًا روحيًا لنبي الله. هنا نجد الإيمان قد دخل إلى أَرام.

وماذا بعد؟ نسمع الله يقول لنبيه أمرًا عجيبًا: "وَامْسَحْ يَاهُوَ بْنَ نِمْشِي مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ... وَامْسَحْ حَزَائِيلَ مَلِكًا عَلَى أَرَامَ" (١مل١٩: ١٥، ١٦).

ما هذا؟ كيف أن ملك أَرام الأممي يمسحه نبي الله ملكًا؟ أمر عجيب، يدل على أن الإيمان كان قد دخل – ولو وقتيًا – إلى أَرام..!

نرى أيضًا في قصة يونان النبي أمرًا عجيبًا: يونان النبي يعصي كلام الله عندما أرسله الله إلى أهل نينوي. ويركب سفينة تعصف بها أمواج البحر، وكل ركابها أمميون وثنيون. ويصرخ كل واحد منهم إلى الرب، بينما كان يونان النبي المخالف قد نام في السفينة نومًا ثقيلًا! حتى أن ربان السفينة قال له: "مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِكَ..." (يون١: ٦). هنا نجد رجلًا أمميًا، يُبكّت يهوديًا من رجال الله ويدعوه للصـــلاة! أترى كان ذلك رمزًا؟ على أن أهل السفينة الذين دخلوا في الإيمان وصاروا شعبًا لله.

ثم ذهب يونان النبي إلى مدينة نينوى فتابت وآمنت بالله، وكان فيها أكثر من مائة وعشرين ألفًا من الناس، كلهم صاروا شعبًا لله في عهد اليهود.

حتى في السـبي، عندما ألقى دانيال في جب الأسـود، وأرسـل الله ملاكه فسـد أفواه الأسـود ولم تؤذ دانيال بشـيء ماذا حدث؟ حدث أن داريوس ملك الفرس أمر بعبادة إله دانيال في كل مملكته الأممية وقال: "لأَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُـلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّـــمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ. هُوَ الَّذِي نَجَّى دَانِيآلَ مِنْ يَدِ الأُسُودِ" (دا٦: ٢٥– ٢٧).

إذًا، لا شـــك أن الإيمان كان قد دخل كل الأمم، حتى في العهد القديم. وقبل الله وكل أولئك.. وهذا ينفي فكرة الشـــعب الواحد المختار. فلو كان الله لا يريد إلا شـــعبًا واحدًا له، إذًا لرفض أهل نينوي، ورفض راحاب

وراعوث وكل الذين تحدثنا عنهم.. ولكن "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (١تي٢: ٤).

٢- فهل كان بنو إسرائيل يعرفون كان هذه الدلالات والرموز؟

يجيب الله على هذا السؤال فيقول: "اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ.. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ" (إش١: ٢، ٣) ويقول أيضًا في سفر إرمياء النبي: "شَعْبِي أَحْمَقُ. إِيَّايَ لَمْ يَعْرِفُوا. هُمْ بَنُونَ جَاهِلُونَ وَهُمْ غَيْرُ فَاهِمِينَ. هُمْ حُكَمَاءُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ، وَلِعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَفْهَمُونَ" (إر٤: ٢٢).

لم يفهموا هذه النبوءات، ولا هذه الرموز. لماذا؟ لأن كبرياءهم العنصرية كانت تقول لهم إنهم هم الشعب الوحيد المختار من الله، ولا يوجد غيرهم!

لذلك أتي المسيح يوضح ويشرح، وهو يقول لهم: "تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ" (مت٢٢: ٢٩).

٣- السيد المسيح يوضح ويشرح أفضلية الأمم:

لما رآهم منتفخين من كبريائهم العنصرية، أعاد إلى ذاكرتهم قصص العهد القديم مفضلًا الأمم عليهم. فقال: "وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ

أَشْـهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا. وَلَمْ يُرْسَـلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، إِلاَّ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، إِلَى صَـرْفَةِ صَـيْدَاءَ وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ" (لو٤: ٢٥-٢٧).

وقد فهم اليهود ما يقصده السيد المسيح من ذكر هاتين الواقعتين، وكيف أنه يفضل الأمم عليهم. فماذا كانت النتيجة؟ يقول الكتاب: "فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَـمِعُوا هذَا. فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةَ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى" (لو٤: ٢٨-٣٠).

وعاد السـيد المسـيح يضـرب على نفس الوتيرة، فقال لهم: "رِجَالُ نِينَوَى سَـيَقُومُونَ فِي **الدِّينِ** مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ **يُونَانَ**، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ **يُونَانَ** هُهُنَا!" (لو١١: ٣٢).

"مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَـتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِـي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ **سُلَيْمَانَ**، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ **سُلَيْمَانَ** هُهُنَا!" (مت١٢: ٤١، ٤٢).

ألسنا نرى هنا أن السيد المسيح لا يشرح فقط كيف أن أهل الأمم مقبولون عند الله، وإنما كانوا في هذه الأمثلة أفضل من اليهود؟

٤- آيات صريحة من العهد القديم

إننا جميعًا نتمسك جدًا بموضوع قبول جميع الأمم في الإيمان، وأن اليهود لم يعودوا على الإطلاق شعبًا مختارًا لله. لأنه لو كان اليهود إلى الآن شعب الله المختار، ما كنا جميعًا من المؤمنين.. فكلنا من الأمم، ولسنا يهودًا.. فلو كان الله لا يقبل غير اليهود، لما وجد واحد منا مقبولًا عند الله.

ما أكثر الآيات الدالة على ترحيب الله بالأمم، وبالتالي نفي فكرة الشعب المختار، ليس في العهد الجديد فقط وإنما في القديم أيضًا.

كان هذا الأمر واضحًا منذ دعوة إبراهيم، إذ قال الرب له: "لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ"، "أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ.."، "**وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا**" (تك١٧: ٤-٦).

ونفس الوعد أعطي ليعقوب "أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ" (تك٣٥: ١١).

وما أكثر الدلالات على هذا الأمر في سفر المزامير، إذ يقول النبي: "يُعْرَفَ فِي الأَرْضِ طَرِيقُكَ، وَفِي كُلِّ الأُمَمِ خَلاَصُكَ" (مز٦٧: ٢). "سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ. حَمِّدُوهُ يَا كُلَّ الشُّعُوبِ" (مز١١٧: ١). "فَتَخْشَى الأُمَمُ اسْمَ الرَّبِّ..." (مز١٠٢: ١٥). "وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ" (مز٧٢: ١١).

ويقول إشعياء النبي: "فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ" (إش٦٠: ٣). ويقول أيضًا: "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ" (إش٢: ٢).

ويقول دانيال النبي عن الرب: "لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دا٧: ١٤).

ويقول الوحي الإلهي على فم زكريا النبي: "فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ" (زك٢: ١١).

ويتنبأ يوئيل النبي عن حلول الروح القدس على كل من اليهود والأمم، فيقول الرب على فمه: "أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى" (يوئيل٢: ٢٨).

٥- آيات صريحة في العهد الجديد

إن الديانة المسيحية ديانة جامعة للكل، لا تمييز فيها لشعب معين أو جنس أو عنصر أو لغة، كما يقول بولس الرسول: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلا٣: ٢٨). كما يقول أيضًا: "حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ... بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ" (كو٣: ١١). "لأَنَّهُ

لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ" (رو١٠: ١٢).

وقد بدأ قبول الأمم عمليًا في المسيحية بإيمان كرنيليوس قائد المائة على يد بطرس الرسول الذي شرح الأمر قائلًا للمؤمنين من اليهود: "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُل يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ.. أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ.. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ" (أع١٠: ٢٨، ٣٤-٣٦).

وبولس الرسول ذهب أولًا مبشرًا في مجامع اليهود: "وَإِذْ كَانُوا يُقَاوِمُونَ وَيُجَدِّفُونَ نَفَضَ ثِيَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ: دَمُكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ! أَنَا بَرِيءٌ. مِنَ الآنَ أَذْهَبُ إِلَى الأُمَمِ" (أع١٨: ٦). ويقول هذا الرسول: "أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا" (رو٣: ٢٩).

وأول مجمع مقدس في المسيحية، كان في أورشليم اجتمع فيه الآباء الرسل، لأجل قبول الأمم في الإيمان (أع١٥).

والسيد المسيح قد جعل الكرازة بالإنجيل لجميع الأمم. فقال: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر١٦: ١٥). كما قال لتلاميذه: "وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى

أَقْصَـى الأَرْضِ" (أع١: ٨). وعندما طهر الهيكل قال: "بَيْتِي بَيْتَ صَـلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ ..." (مر ١١: ١٧).

السيد المسيح يحطم كبرياء إسرائيل

كان السـيد المسـيح يعلم كبرياء اليهود، وأراد أن يحطم تلك الكبرياء بما يناسـبها. من مظاهر كبريائهم أنهم كانوا لا يقبلون الخطاة، وهم خطاة! كانوا لا يقبلون الأمم لأنهم غرباء، ولا الكنعانيين لأنهم شعب ملعون، ولا السامريين ولا العشارين لأنهم خطاة.. فرفع المسيح من شأن كل هؤلاء ليخفض شأن اليهود، ويريهم أن من يرونهم خطاة هم أفضل منهم.

انتهز فرصـة سـؤال وجهه إليه أحد الناموسـيين وهو من اليهود الحرفيين المتعصبين، فأجابه بأن قصّ عليه مثل السامري الصالح. قال: "إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَـلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُـوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَـوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَـامِرِيًّا مُسَـافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَـمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَـبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُق وَاعْتَنَى بِهِ وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَـى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَـاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ". وعندئذ أراهم المسـيح أن قريب هذا الإنسـان هو الذي فعل معه

الخير. وأظهر لهم أن السامري كان أفضل من أفضل طبقات اليهود، وأفضل من الكاهن، ومن اللاوي (لو١٠: ٣٠-٣٧).

وبالنسبة إلى الكنعانيين مدح المسيح أمامهم المرأة الكنعانية وقال لهم: "عَظِيمٌ إِيمَانُكِ!" (مت١٥: ٢٨).

أما عن علاقتهم بالأمميين، فوبخهم بما فعله قائد المائة الأممي الذي جاء إلى السيد يطلب شفاء غلامة. فلما قال له: أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ. فَأَجَابَ قَائِدُ الْمِئَةِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي، لكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي.. لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: اءيتِ! فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هذَا! فَيَفْعَلُ.. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا!" (مت٨: ٥-١٠). وكأنه يقول لهم كفاكم كبرياء واعتزازًا بعنصريتكم. هل تظنون أنفسكم أفضل من الأمم؟ إني لم أجد في إسرائيل كله إيمانًا بمقدار إيمان هذا القائد الأممي! وأكمل السيد توبيخه لهم بقوله: "وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ (اليهود) فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (متى٨: ١١، ١٢).

ولما رأى احتقارهم للعشـــارين، قص عليهم مثل الفريســـي والعشـــار. والفريسي هو رجل يهودي متمسك متكبر. والعشار في نظره رجل سارق ظالم. قال لهم السيد المسيح إن اثنين دخلا إلى الهيكل ليصليا: "إحداهما فريسي والآخر عشار. أما الفريسي فوقف في كبرياء وقال: أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْـتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّـارِ. أما العشار فوقف في انسحاق قلب، لا يجرؤ أن يرفع عينه إلى السماء. قَرَعَ عَلَى صَـدْرِهِ قَائِلاً: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ، إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ" (لو١٨: ٩-١٤).

أراهم أن ذلك الفريسي المتكبر المفتخر بنفسه الذي يعتبر أنه أفضل من غيره، لا يمكن لمثل هذا أن تصل صلاته إلى الله. بينما قبلت صلاة العشار الخاطئ المنكسر القلب المتواضع أمام الرب. كل هذا ليريهم أنه ليس بالعنصرية يخلص إنسان، لأنه يهودي! وإنما يخلص بالإيمان السليم والأعمال الصالحة. وبغير ذلك فيهوديته لا تنفعه شيئًا..

إن السيد المسيح لما رآهم متكبرين أخزاهم بحياته، إذ جاء إلى العالم فقيرًا متواضعًا آخذًا شكل العبد..

ولما رآهم مفتخرين بمدينتهم العظيمة أورشليم وبهيكل سليمان، تنبأ عن خراب أورشليم، كما تنبأ عن خراب الهيكل (لو٢١).

ولما رآهم مفتخرين بأنهم أصحاب الشريعة والناموس، وبخهم على أنهم أفسدوا الشريعة بتفسيرات وتقليدات آبائهم. وقال لهم: " لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (متى٢٣).

رابعًا: فكرة المملكة

١- الله يملك بنفسه.

٢- ممالك خاطئة انتهت بالفشل.

٣- السيد المسيح يرفض المُلك الأرضي.

٤- لا نعترف باليهودية ولا بمملكة لليهود.

رابعًا: فكرة المملكة

أريد أن أقول لكم كلمة بسيطة عن فكرة المملكة، هل يوجد شيء اسمه مملكة اليهود؟ ما رأي المسيحية في تلك المملكة.

حقًا، قد تكونت ممالك لليهود في العهد القديم. ولكن ماذا كانت صفات المملكة وشخصيتها وقتذاك؟

١ – الله يملك بنفسه

كان الله في بادئ الأمر يحكم الشعب بنفسه. إما مباشرة وإما عن طريق أنبيائه. كان يرشدهم في طريق الخير، يدبر أمورهم ويوجه تحركاتهم. وعندما دعاهم إليه، قال لهم: "وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً" (خر ١٩: ٦).

هذه المملكة لا يقبل فيها الله معونات من سائر الأمم الأخرى، ولا محالفات عسكرية أو اقتصادية. وكانت مملكة مقدسة تنفذ وصاياه، يحكمها عن طريق أنبيائه، لذلك كان الله الحاكم هو نفسه نبي الله، بما يتلقاه من أوامر من الله مباشرة.

كان موسى يحكم هذا الشعب، هو الحاكم وهو النبي، وهكذا كان يشوع حاكمًا ونبيًا. وهكذا كان القضاة حكامًا ونوابًا بالله على الأرض.. وسار الأمر على هذا الوضع زمنًا. ثم حدث انقلاب، فماذا كان ذلك الانقلاب؟

٢- ممالك خاطئة انتهت بالفشل؟

ثم أتى الشعب يطلبون من صموئيل النبي أن يقيم لهم ملكًا مثل سائر الشعوب. وكانت رغبة فيها انفصال عن حكم الله المباشر، وتقليد للأمم الأخرى، ومظهرية من المجد الباطل. فاستاء صموئيل، وأخبر الله بالأمر، فأجابه الرب: "لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ" (١صم٨: ٧)! وشرح لهم النبي مساوئ الفكرة، "فَأَبَى الشَّعْبُ أَنْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ صَمُوئِيلَ، وَقَالُوا: لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ، وَيَخْرُجُ أَمَامَنَا وَيُحَارِبُ حُرُوبَنَا" (١صم٨: ٥-٢٢).

إذًا بدأت فكرة المملكة كفكرة خاطئة، كتمرد على حكم الله ورفض له. وكانت مجرد تقليد للأمم.

على أن الله نفذ لهم فكرتهم، وأقام لهم ملكًا. وكحل متوسط، احتفظ الله بإجراءين احتياطيين لحفظ المملكة من الانحراف. أولهما أن يقام الملوك باختيار من الله، وثانيهما أن يحكموا طبقًا لشريعته ووصاياه. وهكذا يكون تحت إشرافه.

هذان الأمران يوضحهما سفر التثنية إذ يقول فيه الرب لإسرائيل: "مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ" (تث١٧: ١٤، ١٥).

"وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ. فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ" (تث١٧: ١٨، ١٩).

هذه الأوامر نفذت أولًا ثم تجاهلها الملوك والناس. فالملكان الأولان (شاول وداود) مسحهما صموئيل بأمر الرب. ثم صار الملك بالوراثة في مملكة يهوذا من نسل داود حسب وعد الله. أما في مملكة إسرائيل، فباستثناء يربعام وياهو، نجد أن القاعدة الأولى قد كسرت، وصار الملوك يقامون بغير اختيار الله، وبغير مسح الأنبياء لهم.

وقد غضب الله لكسر هذه القاعدة. فقال في سفر هوشع النبي: "قَدْ كَرِهَ إِسْرَائِيلُ الصَّلاَحَ فَيَتْبَعُهُ الْعَدُوُّ. هُمْ أَقَامُوا مُلُوكًا وَلَيْسَ مِنِّي. أَقَامُوا رُؤَسَاءَ وَأَنَا لَمْ أَعْرِفْ. صَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْ فِضَّتِهِمْ وَذَهَبِهِمْ أَصْنَامًا لِكَيْ يَنْقَرِضُوا" (هو٨: ٣، ٤).

وعلى نطاق أوسع كسرت القاعدة الثانية، فتجاهل الملوك الشريعة، وساروا في فساد حتى عبدوا الأصنام وجروا الشعب معهم.. وبلغ نسيانهم للشريعة أن يوشيا الملك عندما عثر على سفر الشريعة وقرأه، مزق ثيابه خوفًا وحزنًا (٢أي٣٤: ١٩).

وبهذا الوضع، وبفساد الملوك، حدث ازدواج وانقسام في قيادة الشعب. لم يعد الحاكم هو النبي كأيام موسى ويشوع والقضاة. وإنما صارت هناك قيادتان: الأنبياء والملوك، ممثلو الله وممثلو الشعب الخاطئ. وأدى هذا الانقسام إلى صراع طويل. والملوك بدورهم يسجنون الأنبياء ويقتلونهم. لذلك قال السيد المسيح موبخًا أورشليم فيما بعد: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا" (لو١٣: ٣٤).

أول ملك أقيم لليهود (هو شاول) رُفض من الله.

الملك الثاني داود سار مع الرب، وكان صالحًا ونبيًا على الرغم من أخطائه. وبعد داود أتى سليمان، وأغرته النساء في أواخر أيامه ليبخر للأصنام، ودخل في علامة استفهام كبيرة. فما زال المسيحيون حتى الآن يتساءلون هل خلص سليمان أم لم يخلص؟ ولا يستطيع أحد أن يجيب إجابة صحيحة مؤكدة. وبعده انقسمت المملكة إلى اثنتين: مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.

أما مملكة إسـرائيل فعبدت الأصـنام منذ يومها الأول حتى السـبي. بينما تمســـكت مملكة يهوذا قليلًا بالرب، ثم انجرفت هي الأخرى إلى عبادة الأصـنام، فأسلمها الرب كذلك إلى السبي. ونظر الرب فإذا تجربة المَلك هذه قد فشلت. وبقي أن يعود الله مرة أخرى ويحكم الشعب بنفسه.

وهنا ظهر السيد المسيح.

٣- السيد المسيح يرفض الملك الأرضي

أراد السـيد المسـيح أن يملك على قلوب الناس، وأفكارهم، وأن يملك على مشـــاعرهم وحواســـهم. وهكذا يقيم مملكة روحية على الأرض، كما نادي في الناس وقال: "مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ" (لو١٧: ٢١). دُعيَ اســـمه يســـوع (أي مخلص) لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

أما اليهود فأرادوا مخلصًـا من نوع شـمشـون الجبار، أرادوه أن ينقذهم من نير الرومان ويقيم لهم ملكًا عالميًا بالقوة والسـلطان، ويعيد لهم دولة داود وسليمان.

ولكن المسيح تمسك بالمملكة الروحية ورفض الملك الأرضي.

لما أشبع الخمسة الآلاف من خمس خبزات وسمكتين، أعجب الناس جدًا بهذه المعجزة، وأرادوا أن يقيموه ملكًا، ولكنه رفض، يقول الكتاب: "وَأَمَّا

يَسُــوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَــرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ" (يو٦: ١٥).

وفي أحد الشــعانين، دخل أورشــليم، فاســتقبلوه كملك بســعوف النخل وبالهتاف " مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!" (لو١٩: ٣٨). "وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَــلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا..." (مت٢١: ١٠) أما الســيد المســيح فرفض هذا الملك. وفي هيبة روحية دخل إلى الهيكل وطهره، ووبخهم على فسادهم. ثم ترك أورشليم وذهب إلى بيت عنيا. فتضايق اليهود من هذا التصرف الذي خيب آمالهم فيه.

حتى تلاميذه، كانوا هم أيضًــا يتخيلونه ملكًا، وتنافســوا فيها بينهم من يجلس عن يمينه وعن يســاره أما يســوع فكلمهم روحيًا "بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَــانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مت٢٠: ٢٥-٢٨).

وعندما ســأله بيلاطس: "أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟"، أجابه: "مَمْلَكَتِي لَيْسَــتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ... لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يو١٨: ٣٣-٣٦).

أين إذًا مملكتك أيها الرب يســوع؟ قال لهم: "مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ" (لو١٧: ٢١)، "يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ، وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي" (أم٢٣: ٢٦)

قال المسيح هذا الكلام، لأن الشعب كان قد سار في طريق الضلال وبعد عن الرب. حتى جميع عباداتهم كانت شكلية رفضها الرب. كانوا بعيدين عن الحياة الروحية السليمة.. شعب له المظهر الخارجي الذي يفتخر به!! يقدم المحروقات، يقدم الذبائح، يرفع البخور، ويظن أنه بهذا يعبد الرب! يقيم الأعياد، يحتفظ برؤوس الشهور وبالمواسم جميعًا، ويدخل إلى الهيكل، وهذا كل شيء! أما الله فلم يكن له وجود في هذا الشعب.

لذلك وبخهم الرب في العهد القديم كله على هذه العبادة الشكلية التي لا يملك فيها على قلوبهم قال لهم في سفر إرمياء النبي: "مُحْرَقَاتُكُمْ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَذَبَائِحُكُمْ لاَ تَلُذُّ لِي" (إر٦: ٢٠) وقال لهم في سفر إشعياء: ".. لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. الْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي.. رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ حَمْلَهَا.. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (إش١: ١٣-١٥). كما قال الرب لهذا الشعب على فم عاموس النبي: "أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ، وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ" (عا٥: ٢٣).

وجدهم السيد المسيح: "كالقبور المبيضة من الخارج ومن الداخل عظام نتن" (مت٢٣: ٢٧) فقال لهم: "يَا مُرَاؤُونَ! حَسَنًا تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً:

يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّـــعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُني بِشَـــفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مت١٥: ٧-٨) كانت الشـــكليات الطقســـية قد غطت على روح العبادة في ذلك الشعب. فجاء المسيح ليقيم مملكته الروحية.

على أن فكرة المملكة الروحية لم ترقهم. فتضـــايقوا من رفضـــه للمُلك. وتضايقوا من قوله: "أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلهِ للهِ" (مر١٢: ١٧)، وهم الذين أرادوا أن ينجيهم من قيصـــر! لذلك تألبوا عليه، وصـــاحوا: "اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!" (لو٢٣: ٢١). وفضل المسيح أن يكون حاملًا للصليب ومـالكًا للقلوب.. وهو يريـد من هذا أن يكون القلـب ملكًـا لله، ولا خوف على المملكة بعد ذلك، ستسير أمورها حسنًا.

٤- لا نعترف بمملكة اليهود

نحن لا نعترف لليهود كأصـحاب ديانة قائمة.. فمن الناحية الدينية كانت اليهودية ممهدة للمســـيحية، فلما أتت المســـيحية لم يعد لليهودية وجود كديانة قائمة بذاتها.

أما من جهة المملكة، فلا يمكن- في ضـوء الكتاب المقدس- أن نعترف لهم بمملكة.. فالله رفض فكرة المملكة منذ البدء، كما رفض السيد المسيح أن يقيم لهم مملكة على الأرض. وعندما تنازل الله إلى فكرتهم وأقام لهم ملوكًا، كانت للمملكة شخصية مقدسة لا تنطبق على يهود اليوم. فالملك كان الله يختاره بنفسـه، ويأمر بمسـحه ملكًا بواسـطة نبي أو رئيس كهنة.

وكان الملك يتلقى أوامره من الله ويســتشــيره في كل خطوة. وكان محرمًا على ممالك اليهود أن تبرم محالفات عسكرية أو اقتصادية مع دول أخرى وإلا أُعتبر ذلك اعتمادًا على ذراع بشري يقتضي العقوبة من الله.

وليس شيء من هذا ينطبق حاليًا..

خامسًا: في بعض المعاني الرمزية

١- الخلاص.

٢- كلمة أرض الموعد.

٣- أورشليم- صهيون.

٤- الذبائح- الكهنوت- الهيكل- الختان.

خامسًا بعض المعاني الرمزية

بقي أن أقول لكم شيئًا أخيرًا. وهو أن الديانة المسيحية ديانة روحية فيها الكثير من الرمز. وأن أمورًا كثيرة كانت موجودة في اليهودية، وظيفتها أنها ترمز لأمور مستقبلية في المسيحية. فلما تحقق المرموز إليه، بطل عمل الرمز بمعناها الرمزي.. وهناك أَيِاء لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي.

وسنتناول الآن بعض الموضوعات في مفاهيمها اليهودية والمسيحية..

الخلاص

وكان الخلاص في العهد القديم معناه تخليص الناس من أعدائهم، كالخلاص الذي يقدمه الله لهم في الحروب..

أما الخلاص في العهد الجديد، فهو خلاص النفس من الخطيئة، ومن الشيطان، ومن سيطرة المادة والعالم. خلاصها بالإيمان، في أن تكون مقبولة لدى الله.

فعندما يقول بولس الرسول في (رسالته إلى رومية ١١: ٢٦) (سيخلص إسرائيل) إنما يعني أن إسرائيل سيرجع إلى الإيمان فيخلص. وليس

للخلاص هنا معني غير هذا. ونحن ننتظر أن يخلص هؤلاء الناس، أي أن يقبلوا إلى الله ويؤمنوا بالإيمان السليم.

ونحن نعلم أن اليهود لا يمكن أن يقتربوا إلى الله إلا إذا تحطموا. فطول تاريخهم الطويل كانوا – إذًا عاشوا في سعة من العيش وفي راحة من أعدائهم – يفتخرون ويتكبرون، ينسون الرب إلههم. ولم يقتربوا إلى الله إلا في الأوقات التي ضربوا فيها ضربات شديدة من أعدائهم!

لذلك أنا اؤمن إيمانًا أكيدًا من كل قلبي، أن هؤلاء الناس لا يمكن أن يدخلوا في الإيمان إلا إذًا انهزموا هزيمة ساحقة مرعبة في الحرب. وكشخص مسيحي اؤمن بأسفار الكتاب المقدس والحكمة المأخوذة من تاريخ اليهود، لست أرى وسيلة لخلاصهم إلا انهزامهم، صدق المزمور عندما قال: "امْلأْ وُجُوهَهُمْ خِزْيًا، فَيَطْلُبُوا اسْمَكَ يَا رَبُّ" (مز ٨٣: ١٦).

ليس مانع إذًا من أن يقيم لهم الرب سيف تأديب يسلمهم لأعدائهم، كما سلمهم للأعداء من قبل. فإذا كان الله يريد أن يرسل "محمد أنور السادات" سيف تأديب لهذا الشعب، فإن هذا يكون خيرًا روحيًا لهم.

نحن كمسيحيين نحب جميع الناس، ونحب أعداءنا أيضًا. لكننا نحبهم محبة روحية، ونطلب أن تخلص نفوسهم في اليوم الأخير. فإن كنا نحب

اليهود حقًا، ونحب أن تخلص نفوسهم في اليوم الآخر، ونحب أن يصلوا إلى الإيمان، فنحن نصلي أن ينهزموا في الحروب، لكي يخلصوا.

إن كلمة يسوع معناها مخلص، وسُمي يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

كلمة أرض الموعد

هذه أيضًا تشير في معناها الرمزي إلى الموضع الذي يعدنا به الرب في اليوم الأخير. ولذلك يقول داود في المزمور: "أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ" (مز ٢٧: ١٣). ويقصد بأرض الأحياء ما قاله يوحنا الرسول في سفر الرؤيا: "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً.." (رؤ ٢١: ١).

أورشليم – صهيون

أورشليم هي (مدينة الملك العظيم). ويمكن أن ترمز إلى الكنيسة، كما يمكن أن ترمز إلى النفس البشرية. ونحن نعتبر أن كل واحد من المؤمنين هو هيكل لله، وروح الله ساكن فيه، كمال قال الكتاب.

لذلك عندما أرتل بالمزامير في صلاتي وأقول: "سَبِّحِي يَا أُورُشَلِيمُ الرَّبَّ، سَبِّحِي إِلهَكِ يَا صِهْيَوْنُ" (مز ١٤٧: ١٢)، إنما أوجه الكلام إلى قلبي أو إلى نفسي، أدعو القلب أن يسبح الله، والنفس أن تسبح الله.

لذلك إذا وُجدت في صـــلواتنا أو في تراتيلنا هذه العبارات، إنما تعني المعنى الرمزي وليس لها في قاموسـنا الروحي معنى، ولها في لغة أولئك الناس معنى آخر.

الذبائح – الكهنوت – الهيكل – الختان

كذلك كل ما يقدمه اليهود من ذبائح، كان رمزًا لذبيحة المسيح عن العالم. فلما أتى المسيح انتفت تلك الذبائح، ولم يصبح هناك وجود لذبائحهم.

كانت الذبائح ترمز للمسـيح. ما معنى الذبيحة؟ معناها أن الإنسـان الذي يخطئ إلى الله يستحق الموت لأن "أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رو٦: ٢٣). فعندما كان يذبح ذبيحة ويراها تموت، كان يرى الموت عاقبة الخطيئة أمامه. ثم كان يرى أيضًا كائنًا طاهرًا يموت عنه هو، ونفسًا تؤخذ عوضًا عن نفس. فكان بهذا يأخذ فكرة عن الفداء وتضـــحية نفس طاهرة عن نفس خاطئة.

أما هم ففقدوا كل هذه المعاني الروحية. وأصـــبحوا يرون الأمر مجرد ذبائح حيوانية تقدم، فحرمهم الرب من هذه الذبائح بتحطيم هيكلهم، حتى يفهموا المعنى الروحي، ولم يفهموه.

وكذلك الكهنوت الهاروني كان رمزًا للكهنوت المسيحي، والهيكل كان رمزًا للكنيسة، والختان كان رمزًا للمعمودية.

أما الآن فماذا أقول أيضًـا عن اليهود؟ لقد خرب الهيكل وتهدم كله وتمت فيه نبوءة المســـيح، فلم يبق فيه حجرٌ على حجر إلا ونُقض. وضـــاع الكهنوت منهم، ولم يبق فيهم كهنة. ولا يوجد لهم مذبح للذبائح، ولا نار مقدسـة. ولم يصـبح بإمكانهم أن ينفذوا الشـريعة التي ائتمنوا عليها. فأي شيء بقي لهم إذًا من الناحية الدينية؟!

كيف يخلصون إذًا؟ وكيف ينفذون ناموس موسى بدون تقديم ذبائح؟!

الفهرس

طُرس البركة لقداسة البابا تواضروس الثاني..... ٧

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور ٩

إسرائيل في رأي المسيحية ١٢

مقدمة المجلس الملي العام ودوره في المعركة ١٢

أولًا: العهد..... ١٤

١. كان العهد الذي أُعطى لذلك الشعب له شروط..... ١٤

٢- قائمة من اللعنات إن كسروا عهد الرب ١٧

٣- هل حفظوا عهد الرب، أم لم يحفظوه؟ ١٩

شعب عنيد صلب الرقبة ١٩

شعب متذمر..... ٢٠

٣-شعب شرير، عابد للأصنام ٢٣

نقض بني إسرائيل عهد الرب..... ٢٦

٤- عقوبات الرب لهم ٢٧

تسليمهم لأيدي أعدائهم..... ٢٨

تشتيتهم وإبادتهم، وإفناؤهم ٣٠

ثانيًا: شعب الله ٣٤

ما معنى شعب الله المختار؟..... ٣٤

١- ما الحكمة في اختيار شعب معين؟..... ٣٤

٢- هل هم أولاد إبراهيم؟..... ٣٦

٣- هل هم يهود أو إسرائيليون حقيقيون؟ ٣٩

٤- من هو شعب الله المختار؟..... ٤٠

٥- الله يرفض إسرائيل ٤١

٦- الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم ٤٥

ثالثًا: قصة الله مع الأمم - قبوله غير اليهود ٤٧

١- حوادث ورموز منذ أيام إبراهيم:..... ٤٧

٢- فهل كان بنو إسرائيل يعرفون كان هذه الدلالات والرموز؟ ٥٢

٣- السيد المسيح يوضح ويشرح أفضلية الأمم: ٥٢

٤- آيات صريحة من العهد القديم..... ٥٤

٥- آيات صريحة في العهد الجديد ٥٥

السيد المسيح يحطم كبرياء إسرائيل ٥٧

رابعًا: فكرة المملكة..... ٦٢

١- الله يملك بنفسه ٦٢
٢- ممالك خاطئة انتهت بالفشل؟ ٦٣
٣- السيد المسيح يرفض الملك الأرضي..... ٦٦
٤- لا نعترف بمملكة اليهود ٦٩
خامسًا بعض المعاني الرمزية ٧٢
الخلاص ٧٢
كلمة أرض الموعد ٧٤
أورشليم – صهيون..... ٧٤
الذبائح – الكهنوت – الهيكل – الختان ٧٥